بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله تعالى وحده نحمده ونشكره، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مُضلَّ له، ومَن يُضللْ فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾[3].

وبعد: فإن الحياة الزوجية من أهم جوانب الحياة الإنسانية، التي يمر بها الرجل والمرأة، فهي تُشغل الجزء الأكبر من حياتهما، فإن كانت الحياة الزوجية لديهما قائمةً على الحب الصادق، والوِفاق التام، والتفاهم الكامل؛ كانت حياتهما سعيدة، يظللها الأمن والاستقرار والمودة، وهذا يعني أنهما يُنشئان جيلاً طيباً يعرف للحياة قدرها، وللسعادة مكانتها فيما يستقبل من أعباء ومسؤوليات؛ ولهذا كانت الحياة الزوجية السعيدة الهانئة، عِماد الأجيال الصاعدة.

ونظراً لما لهذا الموضوع من أهمية كبرى، وغاية عظمى في حياة الناس

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.
(٢) سورة النساء، الآية: ١.
(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠ - ٧١.

جميعاً، تقدمتُ بهذه الأبحاث الهادفة، التي استفدتها من مطالعتي الدائبة حول ما كُتب في هذا الخصوص، بأقلام علماء أجلّاء، وباحثين متخصصين، ودعاة مخلصين[١]، لتكون دراسة أوسع وأشمل وأرحب، يطّلع من خلالها كلٌّ من الشاب والشابة عند إقدامهما على الزواج، على أحكام الزواج «من الخطوبة إلى الأُبوّة» مما قرره الدين الحنيف، ثم على العلاقة بين الزوجين، ثم على ما بينهما وبين أولادهما، كل ذلك في «ضوء القرآن العظيم والسّنّة النبوية المطهرة».

ولمّا كان الإسلام قد رعى هذه الفترة الطويلة من حياة كلِّ زوجين بجانب من العناية والإرشاد والتوجيه؛ رأيتُ أن ألتزمَ في هذه الأبحاث بما جاء في كتاب الله تعالى وسنّة رسوله ﷺ، وأن أسترشد بسلوك الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين، وبخبرة الدُّعاة والمصلحين، وأنها جميعاً كانت الأسوة الحسنة، والقدوة الصالحة، فيما يُنير للإنسان حياته الفردية والأسرية والاجتماعية.

ذلك أنه ليس في الوجود دينٌ يُنظم حياة الناس، ويُحل مشاكلهم، كدين الإسلام الحنيف، حيث أعطى الإنسانية جميعاً كل ما تحتاج إليه في الوصول إلى السعادة والطمأنينة والأمان. فقد نظَّم الإسلام العلاقات العامة والخاصة بين الناس، وعلى رأس ذلك العلاقة بين الزوجين، فوضع لهما نظام أسرة تقوم على أمتن الروابط، وعلى أقوى الدعائم، في أسمى ما يتطلع إليه البشر.

وحين قامت روابط الزواج على غير هذه الدعائم تفاقمت الخلافات الزوجية، وازدادت نسبة الطلاق بين الأزواج، وعانى الأبناء والبنات من مرارة اختلاف الآباء والأمهات، مما زاد في تفشّي البؤس والتفرّق والتباغض بين الأُسر والعائلات، فتعددت المشاكل، وكثرت همومها، وهكذا تضخمت المشاكل التي تهدد الأسرة المسلمة في حاضرها ومستقبلها.

إن الإسلام دين قويم ومنهج مستقيم، أنزله الله تعالى ليُصلح حياة الإنسان في دنياه وآخرته، ولننظر إلى هذا التوجيه الرفيع الكريم في إعطاء النفس

(١) كما هو مشار إليه في التعليق عند كل نقل من كتبهم وأبحاثهم.

الإنسانية - سواء كانت ذكراً أم أنثى - حقها لإشباع غريزتها إشباعاً مشروعاً مُتَّزناً ضمن ضوابط ثابتة وروابط قوية، وذلك في إطار «الحياة الزوجية في الإسلام»؛ فقد روى الطبراني بإسنادٍ رجاله ثقات عن أبي نجيح - مُرسلاً - قال: قال رسول الله ﷺ: «**مسكينٌ مسكينٌ مسكينٌ رجلٌ ليس له امرأة، وإن كان كثير المال، مسكينةٌ مسكينةٌ مسكينةٌ امرأةٌ ليس لها زوج، وإن كانت كثيرة المال**» (مجمع الزوائد ج٤/ ٢٥٢).

وروى أبو يعلى في مسنده عن عُبيد بن سعد يبلغُ به النبي ﷺ قال: «**مَن أحبَّ فطرتي فَلْيَسْتَسِنَّ بسُنَّتي، ومِن سنَّتي النكاح**» (مجمع الزوائد ج٤/ ٢٥٢ وقال: رجاله ثقات...)، وعن أبي نجيح عن رسول الله ﷺ قال: «**مَن كان مؤسراً لأنْ ينكِح، ثم لم ينكِح، فليس مني**» (مجمع الزوائد ج٤/ ٢٥١ - ٢٥٢، وقال: رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وإسناده حسنٌ مُرسَلٌ)، وقال رسول الله ﷺ: «**الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة**» رواه مسلم والنسائي وابن ماجه (الترغيب ج٣/ ٤١)، وروى ابن حِبّان في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «**أربعٌ من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء. وأربعٌ من الشقاوة: الجار السوء، والمرأة السوء، والمركب السوء، والمسكن الضيّق**» (الترغيب ج ٣/ ٤٢)، وقال رسول الله ﷺ: «**مَن رزقه الله امرأةً صالحةً، فقد أعانه على شطر دينه، فليتَّقِ الله في الشطر الباقي**» (الترغيب ج ٣/ ٤٢، وقال رواه الطبراني والحاكم وقال: صحيح الإسناد).

هكذا يُعتبر «الزواج» في الإسلام مصدر السعادة والهناء، وأصل الطمأنينة والرخاء، وذلك لأن الزواج مآلُ الرجولة المتكاملة، ومرجع الأنوثة المتنامية، يجد فيه كلٌّ من الزوجين الرياض الرحبة في استقرار الحياة.. وتحقيق الآمال..

والله ﷻ يقول: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، وقال الله سبحانه: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ﴾[2]، فماذا يكون الزواج بعد أن

(١) سورة الروم، الآية: ٢١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

وصفه الله تبارك وتعالى بـ«السَّكن، واللباس» ثم حَبَاه بـ«المودة، والرحمة»؟ إلا أن يكون للإنسان - «للزوج وللزوجة» - الأمان والاطمئنان، والسعادة والهناء.

ومن هنا نقول بكل ثقةٍ وبصيرةٍ وإدراكٍ:

إن نظام الأسرة في الإسلام نظامٌ ربّاني فيه تتحقق رعاية الفطرة الإنسانية وحاجاتها ومقوّماتها، باعتبارها مهد البشرية ومصدر نموِّها وتكاثرها.

وإن أحكام الزواج في الإسلام منهجٌ متكاملٌ، تجمع بين العبادة وإشباع الفطرة، فهي التي تُحدد الطريقة التي يُحبُّ الله أن يجتمع عليها «الرجال والنساء» في رابطة نظيفة مطهَّرة، لبناء أسرة مباركة كريمة.

وإني إذْ أقدّم هذا الكتاب باسم «آداب الحياة الزوجية من الخطوبة إلى الأبوَّة في ضوء القرآن والسنّة» الذي اخترته من خيرة الأبحاث في هذا المجال؛ ليكون مشاركةً فاعلةً في إيصال هذه الأبحاث المختارة إلى كل بيتٍ، وإلى كل أسرة، بل إلى كل زوجٍ وزوجةٍ، ليرى كل واحدٍ منهما موقعه ومكانته!!..

أسأل الله تعالى أن يتقبّل مني صالح عملي، وأن يغفر لي خطيئتي وزلّتي، وأن يوفقني وجميع المسلمين إلى طاعته وعبادته، إنه حميد مجيد، والحمد لله رب العالمين.

دمشق في ٩ رمضان المبارك / ١٤١٣
الموافق في ٢/ ٣/ ١٩٩٣
خالد عبد الرحمن العك

obeikandl.com